# ماذا يعني قصص القرآن بالنسبة للإنسان ؟

obeikandl.com

obeikandl.com

## ماذا يعنى قصصُ القرآن

## بالنسبة للإنسان ؟

لا شيءَ أكرم بالإنسان وأَبَرُّ به من مخاطبته بالحقِّ، وإفادته منه.

ذلك أنَّه خطابُ الفطرة التي فَطَرَ اللّه الناس عليها، وإنْ مَالَ الناسُ أو حادوا عنها.

ومن أجل الخطاب بالحق ودعوة الناس إليه، أرسل الرسلَ، وأنزل الكتاب؛ ليظل نداءُ الفطرة قائماً في حياة الناس، تستيقنه نفوسُهم وإن جحدوا به.

والقصص بعامة ـ وهو مُحبَّب للنفوس ـ قد يأتي من قِبل الناس، ويكون فيه ما فيه من متعةٍ لقارئٍ أو مستمع.

ولكن قد يساق بحقٍّ أو بباطل.

وقَصَصُ القرآن ـ بخاصَّة ـ لا يُقَصُّ إلاَّ بالحق.

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾.(1)

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾.(2)

﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ ﴾.(3)

وفي التقييد بالحق دليلٌ على أنَّ نبأَهُمْ قد يُقَصُّ بين الناس، ولكنْ

---

(1) آل عمران: ٦٢.

(2) الكهف:١٣

(3) القصص: ٣.

لا بالحق.

والفرق بين قصصهم بالحق وبغير الحق بعيد الأثر والنتائج.

ذلك أنَّ القصص بغير الحق لا ترتبط النفس به، ولا تتأثر إلاَّ بمقدار سماع ما فيه، ممَّا تستطرفه النفس أو تتلهى به.

ولكنَّ القصص بالحق يحمل للناس سُنناً ماضية في الخَلق، وعِبرةً دائمة، وعِظةً لمَن اتعظ واعتبر.

ومن جهة أخرى فإنَّ الحديثَ بالحق عن ناسٍ مضوا في الزمان الغابر، لا يملكه ولا يستطيعه إلاَّ مَن أحاط بكل شيءٍ علماً.

فإذا جاءنا عن طريق الوحي، وَجَبَ السماع له، والإفادة منه.

أمَّا حديث البشر عن الماضي ففيه قُصورهم، واختلاف تخيُّلهم، وتباين أغراضهم ونيَّاتهم، ولا يخلو الأمر من تزيُّدٍ أو انتقاص من صاحب هَوىً أو خيال.

فقصص القرآن هو الحقُّ، وللدعوة إلى الحقِّ.

حقٌّ في ذاته.. وحقٌّ في حكمته وغايته.

وإذا كان هذا القصص هو الحقُّ، فلا غنى للإنسان ـ بحالٍ ـ عن الحقِّ.

والإنسان ـ كما نعلم ـ له أحوال وصفات ومراحل.

من نشأة، وولادة، وطفولة، وشباب، ورجولة، وكهولة.

وله علاقته بغيره، من: أب، وأُمٍّ، وزوج، ورَحِم، وبنين، وبنات.

له علاقة بما يكون حوله، وما يقع له من غنى وفقر، وشدة

ورخاء، وصحة ومرض، وحياة وموت.

له علاقة بمجتمعة، وما يقع فيه من صراع، وما يكون فيه من حق أو باطل، وعدلٍ أو ظلمٍ، وعلمٍ أو جهلٍ، وهزيمةٍ أو نصرٍ.

والإنسان ـ رجلاً كان أو امرأة ـ على أيِّ حال كان ـ له من قصص القرآن دلالةٌ على إحاطة علمٍ بحاله، وبيانُ حِكمةٍ بالغةٍ فيما هو فيه أو عليه.

يرى ذلك في واقع عملي من خلال قصص القرآن.

قصص حقٌّ وصِدقٌ للحياة في جميع صورها..

لا يكاد الإنسان يمُرُّ بمرحلةٍ في حياته ـ منذ نشأته وولادته ـ إلاّ ويرى ـ من قصص القرآن ـ واقعاً مَرَّ بإنسان، أو مَرَّ به إنسانٌ.

يرى تفصيل كل شيء، ويشاهده كأنَّما يعيش فيه.

وهو ينقل لك مشهدَ الحياة في ماضيها؛ هداية لحاضرها ومستقبلها؛ لتعرف حكمتها وسُننها فيك وفي غيرك.

﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦١﴾ ﴾.[1]

سبحان الله، مَن أحاط بكل شيء علماً !

إنَّ قصص القرآن ـ وهو من أنباء الغيب ـ ما كان لأحدٍ أن يعلمه، أو يُخبِر به خبرَ حقٌّ وصدق، إلاّ عالم الغيب والشهادة، الذي يُردُّ إليه

(1) يونس: ٦١.

الخَلق، فينبئهم بما كانوا يعملون.

﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.[1]

فلا عجب أن يأتي قَصص القرآن مُحيطاً بوقائع الناس وأحوالهم، مع اختلاف أماكنهم وأزمانهم؛ لأنَّ الذي نَبَّأ لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.[2]

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ ﴾.[3]

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ ﴾.[4]

هذا القصص للإنسان حيث كان، يرى فيه وقائع ما قد سبق، وهو يُتْلَى في كتاب عزيز محفوظ.

﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[5]

---

(1) المائدة: ١٠٥.

(2) هود: ٤٩.

(3) هود: ١٠٠.

(4) طه: ٩٩ ـ ١٠١.

(5) فصلت: ٤٢.

تُعرف من خلاله سُنن الله في خَلقه.

سُننه فيمَن آمن بالله واتَّقاه، وفيمَن كذَّب بآياته وعصاه.

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾.[1]

ومن تدبَّرَ قصصَ القرآن يمكنه أن يُدرك هذه الحقائق:

**الحقيقة الأولى:**

أنَّ هذا القصص يُريك من أنباء ما قد وقع ما يُغنيك عن طلب عِبرة في غيره. ذلك أنَّك ـ على أيِّ حال كُنت ـ تجد من حال مَن أخبرك عنه عِظة لِحَالِك، وبياناً لعاقبة ما تختاره، وأنت ترى العاقبة فيمن سبق من قبلك.

**الحقيقة الثانية:**

أنَّك ترى ـ فيمَن قصَّ علينا القرآن نبأهم ـ الطفلَ الرضيع، والشيخ الكبير، والرجل والمرأة، والحاكم والمحكوم، والغنى والفقير، والظالم والمظلوم، والصحيح والمريض، والشكور والجحود، وفتيةَ الخير وعُصبةَ الشَّر.

ترى أَبَاً يَعِظُ ابنَه، وابناً ينصحُ والده.

ترى زوجةً مؤمنة، وزوجاً كفوراً.

وترى زوجاً صالحاً وامرأةً خَئُوناً.

ترى صراعاً بين أخوين، أخاً ـ من أبناء آدم ـ يقتُل أخاه.

ترى قتالاً بين فئتين، فئةٍ قليلة صابرة، وفئةٍ كثيرة باغية، وتعرف مَن غلب ومَن غُلِبَ.

فترى ما أخبر الله به واقعاً في أحداث الحياة.

---

(1) الأنفال: ٤٢.

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1]

ترى للنسوة كيداً ـ وكيدُهُنَّ عظيمٌ ـ وترى للحقِّ نصراً يبطل به كيد الكائدين، وباطل المبطلين.

ترى تآمر أغنياء على حقِّ فقراء، يتآمرون وهم يتخافتون، ويغيب عنهم أنَّ الله يعلم ما يُبيِّتون.

فترى نِقمةَ الله أسرع إلى جنَّتهم من ذهابهم إليها مُصبحين.

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠ ﴾[2]

فقالوا متحسرين نادمين ـ لمَّا رأوا جنَّتهم قد احترقت قبل أن يَصِلوا إليها ـ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٩ ﴾[3]

ترى أحداثَ الحياة كلها في وقائع لا تغيب عنك دلالتها.

**الحقيقة الثالثة:**

أنَّ قصص القرآن ـ وهو يذكر العواقب ـ لوقائعَ وأحداثٍ وقعت في حياة أُممٍ ماضية، إنما يقدِّم لنا ـ بذكر العواقب ـ سُننَ الله الباقية، دونَ نظرٍ لنسبٍ أو زمن أو تاريخ ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٤ ﴾[4].

---

(1) البقرة: ٢٤٩.

(2) القلم: ١٩، ٢٠.

(3) القلم: ٢٩.

(4) البقرة: ١٣٤.

**الحقيقة الرابعة:**

أنَّ القصةَ قد تقرؤها مجملةً في سورة، ومُفصَّلةً في سورة أخرى.

كقصة موسى وفرعون ـ مثلاً ـ تقرؤها مجملة في سورة "النازعات" أو غيرها، في كلمات أو أسطر معدودات، وتقرؤها مُفصَّلة في سورة "طه" وسورة "القصص" وغيرهما، في صفحات متتابعات.

ولا استغناء عمَّا جاء من تفصيل، وما وقع من إجمال؛ حيث يكون في التفصيل مقاصد ودلالات.

ولا تكرار في إجمال قصةٍ واحدة وتفصيلها إذا جاءت في سور متعددة من القرآن، مع ما تحمله ـ في كل موضع ـ من دروس وعِبر وعِظات. وهي تتآخى مع آيات السورة التي وردت فيها، وتتَّسق في أسلوبها ومقاصدها وهدايتها.

وذلك من أَبْيَنِ صُور الإعجاز في القرآن الكريم.

قصص الأنبياء في القرآن الكريم يجعلك تعيش في واقعهم جميعاً.

لا تنفصلُ عنهم، ولا تُفرِّق بينهم وأنت ترى حقيقة واحدة لا خلاف فيها.

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ (1)

يقولها كُلُّ نبيٍّ لقومه.

رسول الوحي إليهم واحدٌ لم يتغير. جبريل عليه السلام رُوحُ القُدس.

والحقيقة التي حملها إليهم جميعاً واحدة.

---

(1) الأعراف: ٥٩.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾.[1]

هكذا ـ بأقوى دلالات الحصر ـ يُخبر الله عن حقيقة ما أُرسِلُوا به جميعاً، وأُمِروا به.

دعوتهم واحدة، وسُنن الله جميعاً فيهم واحدة، لا تباين ولا تفاوت، حتى في الكلمات التي يقولونها، أو يقولها أعداؤهم ومكذِّبوهم.

﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾[2] يقولها كُلُّ نبيٍّ لقومه.

﴿ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾[3] يقولها كُلُّ مكذِّبٍ لرسوله.

وكأنما اجتمعوا وتواصوا على ذلك، مع تفاوت الزمان والمكان.

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.[4]

﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلاً ﴿٧٧﴾ ﴾.[5]

« دِينٌ واحدٌ » وصَّى الله به الرسلَ جميعاً، وأمرهم أن يُقيموه ولا

---

(1) الأنبياء: ٢٥.

(2) الأنعام: ٩٠.

(3) الذاريات: ٥٢.

(4) الذاريات: ٥٢، ٥٣.

(5) الإسراء: ٧٧.

يتفرَّقوا فيه.

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾.[1]

وهذه الحقيقة قد تغيب على كثيرٍ ممَّن يسمعون الحديث عن الأديان، فيتصورون أنَّ كلَّ نبي قد بُعِثَ بدينٍ غير ما بُعِثَ به مَن كان قبله.

وهذا التصور خاطئ ومُسيء.

أمَّا إنَّه خاطئ: فإنَّ الحقيقة أنَّ رُسلَ الله جميعاً قد بُعثوا بدين واحد.

وأمَّا أنَّه مسيء: فإنَّ التفرقة بينهم تؤدِّي إلى فُرْقَةٍ في حياة الناس وتؤثِّرُ في أمنهم وسلامهم.

لا تفرقةَ بينهم، ولا خلافَ فيما بُعثوا به، وأُمِروا أن يقيموه ولا يتفرقوا فيه.

وهم جميعاً بُرَآءُ من كل مَن يُنْسَبُ إليهم ما لم يقولوه، أو يؤمنوا به.

وقصص الأنبياء في القرآن الكريم خطابٌ للإنسان حيث كان يُعلِّمه حقيقةَ الرسالة والرسول، ويُبطل كلَّ ادِّعاء يخالف ما بُعثوا به، وأُرسِلوا من أجله.

إنَّ قصص الأنبياء في القرآن الكريم جامعةٌ مفتوحة، لا يُغلَق بابُها، ولا يتوقَّف عطاؤها.

تجمع بين رُسل الله جميعاً؛ ليقولوا كلمتهم للناس جميعاً مجتمعين.

---

(1) الشورى: ١٣.

لا تفصل بينهم فواصلُ زمانٍ أو مكان، وسيكون كذلك يوم يقوم الناس لربِّ العالمين.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.[1]

وقصصُ الأنبياء يُرينا النتائجَ لِمَن كذَّب وعَصَى، وأدبَرَ واستكبر.

كما يجعلنا نشاهد حِمَى الله لِمَن اعتصَمَ به، وابتغى رِضاه.

مِن قصص القرآن نعلمُ أنَّ مَن حَفِظَه الله لا يُضيِّعه الناس.

وأنَّ المكر السيئ لا يَحِيقُ إلاَّ بأهله.

وأنَّ البَغي والنَّكْثَ والمكرَ مِمَّن كُنَّ فيه كُنَّ عليه..

كما قال الصِّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ:

« ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البَغي، والنَّكْث، والمكر ».

وذلك من فِقه القرآن، الذي نقرأُ فيه حقيقةَ هذا القول، ونرى في قصصه واقعَه.

نقرأُ في القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾.[2]

ونَقْرَأُ: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾.[3]

ونَقْرَأُ: ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.[1]

---

(1) يوسف: ١١١.

(2) يونس: ٢٣.

(3) الفتح: ١٠.

ويكفى الإنسان أن يقرأ من نبأ موسى وفرعون ما قصَّه الله عليه لِيرى النتائج، ويدرك الحقائق، ويأخذ من الدلالات ما يثبت به الفؤاد، ويحفظ اليقين، ويُبصر حقائق الدِّين في واقعٍ، فلا تصرفه الرغائبُ عن العواقب.

يكفيك أن تقرأ من أوَّلِ سورة "القصص" من الآية {١} إلى الآية {١٣} لترى كيف يَحيق المكرُ السيئ بأهله، وكيف يُحفَظ مَن أراد الله حِفظه، وكيف يتحوَّل الذين استخفَّهم فرعونُ فأطاعوه.

كيف يتحوَّلون من دَبَّاحِينَ إلى خَدَّامين !

ترى وترى.. فانظُرْ ـ لنفسك ـ ماذا ترى.

فإنَّ نبأَ موسى وفرعون ـ الذي قصَّه الله علينا ـ فيه دروسٌ:

للأغنياء والفقراء..

للحُكَّام والمحكومين..

للكبار والصِّغار..

للرجل والمرأة.

قِصَّةٌ تنفذُ إلى أعماق النفس، بما فيها من دلالاتٍ وعِبر.

وفي جميعها ترى عملَ القُدرة الإلهية، والعلمَ المحيط بكل شيء.

فإنَّ هلاك فرعون ـ ومَن معه ـ لم يتمّ بجيوشٍ يُصارِعُ بعضُها بعضاً.

وإنَّما تَمَّ بأخْذٍ من الله، وإهلاكٍ منه.

وفرعونُ في قِمَّةِ كِبْره وَصَلَفِه، وتسلطه وبَغْيه.

---

(1) الأنعام: ١٢٣.

﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ ﴾.[1]

والمؤمنون ـ وحدهم ـ هُم الذين ينتفعون بما في هذا القصص من عِبر وعِظات.

وهُو محفوظ بحِفْظِ الله في كتابٍ عزيزٍ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾[2]

يُبصِّرُ الناسَ ويُعلِّمهم سُنَنَ الله في خَلقه، وما يجب أن يكونوا عليه في جميع شئونهم، من معرفة الله وخشيته.

ويُحذِّرهم من الذنوب والآثام، وهو يُريهم عاقبةَ الظُّلم ومصارِعَ الظَّالمين.

قِصَّةٌ تَرى فيها الوليدَ الرَّضيع.

وترى الأُمَّ تخشى على رَضِيعها، في وقت يُذبح فيه كل مولود.

وترى أُخْتَ الرَّضيع تتحركُ في هذا الجو المشحون بالرعب والفزع.

وترى آلَ فرعون وهُم يحملون الرَّضيع إلى امرأةِ فرعون، ويطوفون به؛ للبحث عن مُرْضِعٍ يقبلُ ثَدْيها.

ولا يستقرُّون حتى يعودَ إلى أُمِّه، وهم لا يشعرون.

وترى فرعونَ ـ بتدبيره وحِرصه وبَغيه ـ خادماً ـ بمُلْكه ـ لهذا الرَّضيع، وهو لا يدري أنَّ الوليدَ ـ الذي خافه على نفسه ـ يأتيه ليُرَبَّى في

---

(1) القصص: ٣.

(2) فصلت: ٤٢.

قصره، يُحْفَظُ برعاية الله، ويُصنَعُ على عينه..

ونرى امرأةَ فرعون في هذه القصة ـ من بداية أمرها إلى نهايته ـ مَثَلاً حَيًّا للمؤمنين.

وترى العواقب والنتائج، فيخشع قلبُك للحق الذي جاءت به آيات ربِّك، وَدَعَتْ إليه.

وحيثما كُنتَ، وعلى أيِّ حال كُنْتَ، فَلَكَ في هذه القصة عِظَة وعِبرة.

إنَّها قصةٌ تنفذُ ـ بعِبرتها ـ إلى أعماق النفس، فَتَئِد الشَّرَّ قبلَ أن يُولَد، وهي ترى عاقبته ومصرع أهله.

وتنفذ إلى قلبِ المستضعفين، فتعلِّمه كيف يستمسك بمرضاةِ ربِّه.

وهي تُريه من مِنَّةِ الله على المستضعفين في الأرض، فتجعلهم أئمةً، وتجعلهم الوارثين.

وتنفذ إلى قلب الأُمِّ المفزَعة بالبغي والظلم والتسلط، فتعلمها كيف تلجأ إلى الله، وتعتصم به، وهي ترى أُمَّ موسى تُحاط بحمايةٍ ربانية في أشد لحظاتِ الفزع والمكر السيئ، تُطمئِنُ قلبَها، وتحفظُ وليدَها، وتُعيده إليها؛ لترضعه بأجرٍ وتكريم، وتحوَّل المتسلطين إلى خادمين.

قصة تنفذُ إلى قلوب الحُكَّام ـ حيث كانوا ـ فتعلِّمهم أنَّ ما بأيديهم يُهدده طغيانُهم، وتُبيده معاصيهم، وتعصف به ذنوبُهم، وهم بذلك يُؤخَذُونَ ويُهلَكون.

قصة تنفذُ إلى قلوبِ المحكومين، فتُعلِّمهم أنَّ طاعةَ الحُكَّام ـ في معصيةِ الله ـ تسوقهم معهم إلى البَوار والدَّمار.

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.[1]

قصةٌ تُعلِّم كُلَّ إنسانٍ أن ينظر إلى العواقب، فيُحسن في المقدمات ولا يُسيء، ولا يقف عند الرَّغائب، فيركنُ إليها، وينسى سُوءَ عاقبتها.

قصةٌ تُعلِّم جميعَ الناس أنَّ بساطَ دُنياهم سيُطْوَى، وأنَّهم قادمون على دارِ البَقاء، ولا أَمْنَ لهم فيها إلاَّ بصِدْقِ الإيمان والاستقامة، كما أمر الله.

وإذا انتهت فترةُ دُنيانا لم يبقْ للإنسانِ فيها إلاَّ مَا تَرَكَ وراءَه من ذِكْرٍ حَسَنٍ أو قبيح.

ذِكْر حَسَن يُذْكَرْ به في الناس، فيدعون له..

أو ذِكْر قبيح سيئ، فيسخطون عليه، ولا يذكرونه إلاَّ بعمله.

لقد مضى فرعونُ بِلَعَنَاتِ الدنيا، وعذاب الآخرة.

وطُوِيَ بِسَاطُ مُلكه كأن لم يكن !

انتقل إلى ما ادَّعَاه لنفسه ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾[2] انتقل إلى مَن استخلفهم الله من بعده؛ لينظر كيف يعملون.

---

(1) الزخرف: ٥٤ ـ ٥٦.

(2) الزخرف: ٥١.

وسينتهي ميراثُ الأرض ومَن عليها لله الواحد القهار.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.[1]

وبقيتْ امرأةُ فرعون ـ بذكرها، وطِيبِ سيرتها، وصِدقِ إيمانها ـ مَثَلاً للمؤمنين.

أمَّا موسى الوليد الرَّضيع، الذي استهدفه فرعونُ من قبلِ ولادته، فقد حَفِظه الله ورَعاه، وألقى عليه محبةً منه، وصنعه على عينه، واختاره ـ بعد بلاءٍ وتمحيصٍ ـ ليكونَ رسولاً من أولي العزم من المرسلين.

والقرآن المجيد يُرينا كُلَّ ذلك؛ ليُعلم ما للحق من ثبات وبقاء، وما للباطل من غُثاءٍ وجَفَاء.

حتى لا يركنُ أحدٌ إلى باطل، أو يستبطئ أحدٌ نُصْرَةَ حَقٍّ.

فإنَّ الله لا يعجلُ بعَجَلَةِ أحد، والباطلُ زاهق، لا محالةَ.

ومَن اتَّبعه زَهَق معه.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.[2]

***

(1) مريم: ٤٠.

(2) الزمر: ٢٧، ٢٨.

obeikandl.com